قانون البلاغة

— ٦ —

وقالت جنوب[1] اخت عمرو :

(فأقسمت يا عمرو لو نبّهـا ـ ك اذن نبها منك داءً عُضالا)
(اذن نبهـا ليْث عرّيسة مفيتاً - مفيداً نفوساً ومالا)
(وخرقاً تجاوزْت مجهولةٍ بوجناء حرفٍ تشكّى الكلالا)
(فكنتَ النهـار بهـا شمسه وكنت دجى الليل فيها هلالا)

فانظر الى ديباجة هذا الكلام ما أصفاها ، والى تقسيماته ما أصحّهـا ، وانظر الى قوله مفيتاً مفيداً ، ووصفها بالشمس في النهار ، والهلال في الليل ، واشتقاق التسهيم من البرد المُسهّم الذي لا يتفاوت ولا يختلف ، وقد يسمى التوشيح ايضاً ·

واما رد الكلام على صدره ، ويسمى ايضاً رد العجز على الصدر ، فهو ان يبتدأ الشاعر كلمة في بيت ، ثم يعيدها في عجزه ، او في النصف الاول ، ثم يردّها في النصف الآخر · واذا نظم الشعر على هذه البنية تيسّر استخراج قوافيه قبل ان تطرق السمع ، او ينتهي اليها المنشد ، كقوله :

(وان لم يكن الا تعلُّل ساعة قليلاً فاني نافعٌ لي قليلها)

وقول الآخر :

(سقى الرملَ جونٌ مستهلٌ غمامةٍ وما ذاك الا حبُّ من حلّ بالرمل)

وقول الآخر :

(وكنت سناماً في فزارة تامكاً[2] وفي كل حيٍّ ذروة وسنام)

واما صحة التقسيم فهو ان يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدأ فيه ويستوفيه ، فلا يغادر قسماً يقتضيه ذلك المعنى الا أورده كقول زهير :

(يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ضارب حتى اذا ماضربوا اعتنقا)

---

(١) جنوب اخت عمرو ذي الكلب الشاعر (التاج) · (٢) التامك من الاسمة ما طال وارتفع واكتنز ·

فقسم البيت على اقسام الحرب ، ومراتب اللقاء ، ثم ألحق بكل قسم مايليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح وكقول نصيب :

(فقال فريق القوم لا وفريقهم   بلى وفريق قال ويحك ما ندري)

وليس في الأقسام في الإجابة عن المطلوب اذا سئل عنه غير ما ذكره ، وقال طريح بن اسماعيل :

(ان حاربوا وضعوا ، وان سالموا رفعوا   او عاقدوا ضمنوا ، او حدثوا صدقوا)

فهذا وأمثاله التقسيم الذي اذا اعتمده الشاعر ، وأحسن صنعته ، شرف كلامه ، وتهذبت عبارته ٠

واما المماثلة فهو ضرب من الاستعارة ، وذلك ان يقصد الشاعر الإشارة الى معنىً فيضع ألفاظاً تدل عليه ، وذلك المعنى بالفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة اليه ٠ كقول زهير :

(ومن يعص أطراف الزجاج فانه   يطيع العوالي ركبت كلّ لهذم)

فعدل ان يقول من لم يرض باحكام الصلح رضي باحكام الرماح ٠ وكقول عمرو :

(فلو ان قومي أنطقتني رماحهم   نطقت ولكن الرماح أجرّت)

واما التكميل فهو ان يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته ، وبكمل معها — شيئاً الا اتى به كقول نافع بن خليفة :

(أناس اذا لم يقبل الحق منهم   ويعطوه عاذوا بالسيوف الصوارم)

انما تمت جودة المعنى بقوله : ويعطوه ، والا كان منقوصاً ، وكقول كعب بن سعد الغنويّ :

(حليم اذا ما زيّن الحلم أهله   مع الحلم في عين العدوّ مهيب)

وكقول كثير :

(لو ان عزة خاصمت شمس الضحى   في الحسن عند موفق لقضى لها)

فقوله عند موفق من التكميل ٠

واما الترصيع فهو توخي تسجيع مقاطع الاجزاء وتصييرها متقاسمة النظم ، متعادلة الوزن ، حتى شبه ذلك الحلي في ترصيع جوهره كقول امريء القيس :

(الماء منهمرٌ ، والشد منحدر والقصب مضطمر، والمتن ملحوب[1])

وقول الخنساء :

(حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـ ـدي الطريقة نفاع وضرار[2])

(جواب قاصية جزاز ناصية عقاد الوية للخيل جرّار)

فواصلت بين هذه التسجيعات كما ترى مواصلة رشقت العبارة عنها ، وحلا السجع بها ، وليس يحسن الاستكثار من هذا ، لانه اذا كثر في القصيدة دل على التكلف ، وانما يحسن ان يأتي اوضاحاً[3] ، وان يرد في بيتين او ثلاثة من القصيدة .

واما التكافؤ فهو قريب من الطباق وهو ان نتكلم في امر من الامور فتأتي فيه بمعان متكافئة ، في هذا الموضع متقاومة ، حتى اذا قال في معنى ان شيئاً ابيض وغير ذلك من وجوه الغيار كقول بشار :

(اذا أيقظتك حروبُ العدا فنبه لها عمراً ثم نم)

وله اثر في تجويد الشعر قوي فانه لو قال مثلاً ، نجرد لها ، لم يكن لهذه اللفظة من الموقع مع « ثم » مالنبه .

واما السلب والايجاب فهو ان يوقع الكلام على نفي شيء واثباته في بيت واحد كقول الشاعر :

(وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول)

وكقول الشماخ :

(هضيم الحشا لايملأ الكف خصرها ويملأ منها كل حجل ودُملج)

(١) و يروى في التاج هكذا :

(فالعين قادحة والرجل ضارحة والقصب مضطمر والمتن ملحوب)

وقدحت العين غارت وضرحت الدابة برجلها رمحت والقُصب بالضم الظهر و يراد به هنا الخصر كما في التاج ومتن ملحوب اي مملاس في حدور . (٢) في رواية :

(حامي الحقيقة محمود الطريقة مهـ ـدي الخليقة نفاع وضرار)

(٣) اوضاح جمع وضح الغرة .

واما الكناية والتعريض فكقول القائل :

(واحمر كالديباج اما سماؤه فريّ واما ارضه فمحول)

حسن جمعه بين سَمراته[١] وقوائمه على تفاوتهما في خلقة الفرس ، لانه آلف بينهما بنسبين وهما الارض والسماء والنسب الثاني انه ضاد بينهما بضدين محمودين اندماج السَّمراة وريُّها ومحض[٢] القوائم وظمؤها .

واما العكس والتبديل فهو ان يتقدم الكلام جزء الفاظه منظوم نظاماً ما فيلي هذا الجزء بجزء آخر يجعل فيه ما كان مقدماً في الاول مؤخراً في الثاني كقول الشاعر :

(واذا الدرّ زان حسن وجوه كان للدرّ حسن وجهك زيناً)

واما الالتفات فهو ان يكون الشاعر في كلامٍ ، فيعدل عنه الى غيره ، قبل ان يتم الاول ، ثم يعود اليه فيتممه فيكون فيما عدل اليه مبالغة في الاول وزيادة في حسنه كقول جرير :

(متى كان الخيام بذي طُلوح[٣] سُقيتِ الغيثَ ايتها الطُّلوح)

ومعنى الالتفات فيه انه اعترض في الكلام قوله سقيت الغيث ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً وكقول الجعديّ :

(الا زعمت بنو سعدٍ بأني الا كذبوا كبير السن فاني)

فقوله الا كذبوا اعتراض بين الكلامين وفيه مبالغةٌ لما أراده . كقول كثير :

(لو ان الباخلين وانت منهم رأوك تعلّموا منك المِطالا)

وكقول حسان :

(انَّ التي ناولتني فرددتُها قتلت قتِلتَ فهاتِها لم تقتل)

وكقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي يعاتب اخاه وهو في حبس الرشيد :

(فلو بك ما بي لا يكن بك لاغتدى اليك وراح البرُّ بي والتقرُّب)

فقوله « لا يكن بك » اعتراض مليح وكذلك قوله :

---

(١) سمراته أعلاه . (٢) لعل صوابه محل او نحض . (٣) الطلوح جمع طلح وهو شجر من أشجار البادية ذو أشواك انتهى من هامش الأصل .

(فاني ان أفيك بقيك مني فلا أُسبق به عِلق نفيس)

فقوله « فلا تسبق به » اعتراض في هذا الموضع قوّى المعنى الذي أراده وزاده نصاعةً .

واما الاستدراك والرجوع فهو ان يبتدئ الشاعر بمعنى فينفي شيئاً ثم يستدركه بما يؤكد هذا المعنى او يثبت ما نفاه اولاً كقول زهير :

(قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيّرها الارواح والدّيم)

وكقول الاعرابي :

(اليس قليلاً نظرة ان نظرتها اليك وكلاّ ليس منك قليل)

وكقول ابي البيداء :

(وما بي انتصار ان غدا الدهر جائراً عليّ بلى ان كان من عندك النصر)

وكقول بشار :

(نبّئتُ فاضح امه يغتـابني عند الامير وهل عليّ امير)

واما التذييل فهو ضد الاشارة ، وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، و يتوكد عنده فهمه . وسبيله ان يستعمل في المواقف الحافلة ، والمواطن الجامعة . كقول الشاعر :

(اذا ما عقـدنا له ذمة شددنا العناج[1] وعقد الكرب)

وقول الآخر :

(فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلامَ اركبه اذا لم أنزل)

(للكلام صلة)

---

(١) العناج ككتاب حبل او سير يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد الى العراقي و (الكرب) الحبل يشد في وسط العراقي لبلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير قال الحطيئة يمدح قوماً عقدوا لجارهم عهداً فوفوا به :

(قوم اذا عقـدوا عقـداً لجـارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا)